شرح رياض الصالحين

٧- باب في اليقين والتوكل

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب : ٢٢]، وَقالَ تَعَالَى : ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**﴾ [آل عمران :١٧٣- ١٧٤] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ** ﴾ [الفرقان :٥٨] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [إبراهيم : ١١] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله** ﴾ [آل عمران : ١٥٩]، والآيات في الأمرِ بالتوكلِ كثيرةٌ معلومةٌ . وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق : ٣] : أي كافِيهِ . وَقالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال : ٢] ، والآيات في فضل التوكل كثيرةٌ معروفةٌ .

تعريف التوكل :

قال الإمام أحمد : هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق .

قال ابن رجب : التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله : وحقيقة التوكل على الله : أن يعلم أن الأمر كله لله ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال ابن القيم أيضاً : فعلى حسن ظنك بربك ورجائك له ، يكون توكلك عليه ، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله .

والتحقيق: أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنه به، ولا التوكل على من لا يرجوه.

- واليقين : هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك ، والموجب للعمل . (السعدي) .
- جمع المؤلف بين اليقين والتوكل لأن التوكل ثمرة من ثمرات اليقين . (ابن عثيمين) .

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً** ﴾ .

(**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ**) أي : بأبصارهم (**الأَحْزَابَ**) الذين تحزبوا لقتال الرسول ﷺ ومن معه (قريش وغطفان وأسد وغيرهم) (**قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ**) من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ، والمراد بقول الله تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ...) .

فبين تعالى أنه لا يمكن أن يدخلوا الجنة إلا بعد الابتلاء والاختبار والمحن .

- وهذا يدل على ثباتهم وإيمانهم ويقينهم ، بخلاف المنافقين الذين قالوا : (ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) .

(**وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ**) أي صدق الله في وعده ، ورسول الله فيما بشرنا به .

قال المفسرون : ولما كان المسلمون يحفرون الخندق اعترضهم صخرة عظيمة عجزوا عن كسرها ، فأخبروا الرسول ﷺ بها فجاء وأخذ المعول وضربها ثلاث ضربات أضاءت له منها مدائن كسرى وقصور الروم ، فقال : أبشروا بالنصر ، فلما أقلعت جموع المشركين ورأوهم قالوا : (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) .

(**وَمَا زَادَهُمْ**) ذلك الأمر (**إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**) أي ما زادهم رؤية الأحزاب وتأليبهم على رسول الله ، إلا (**إِيمَاناً**) بالقلب (**وَتَسْلِيماً**) بالجوارح .

■ فالإنسان لا يتم دينه إلا بهذين الأمرين : الإيمان والتسليم ، فمن استسلم ولم يؤمن فهو منافق ، ومن آمن ولم يستسلم فهو متكبر .

وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** ﴾ .

(**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**) المراد بالناس هنا رجل يقال له : نعيم بن مسعود ، **وقيل** : ركب لقيهم أبو سفيان ، فضمن لهم ضماناً لتخويف النبي ﷺ وأصحابه (**إِنَّ النَّاسَ**) المراد بالناس هو أبو سفيان وأصحابه ورؤساء عسكره (**قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ**) أي : جمعوا لكم الجموع (**فَاخْشَوْهُمْ**) أي : خافوهم (**فَزَادَهُمْ إِيمَاناً**) أي : أن هذا القول الذي قاله المثبطون (**وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ**) أي : كافينا الله وحده ، كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أَيْ حَسْبُك وَحَسْبُ مَنْ اتَّبَعَك مِنْ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِيكُمْ كُلُّكُم (**وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) المدافع عن غيره .

وقولهم هذا يدل دلالة واضحة على قوة إيمانهم ، وشدة ثقتهم بنصر الله – تعالى – لهم ، مهما كثر عدد الأعداء ، ومهما تعددت مظاهر قوتهم .

فالمؤمن عند المحن يزداد إيماناً ، كما قال تعالى (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) (**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ**) قيل : المراد بالنعمة هنا : السلامة من ملاقاة العدو ، وقيل : هي ما أخذوه من الأموال (**وَفَضْلٍ**) أي : فضل وثواب الجهاد (**لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**) أي : لم يصبهم قتل ولا جراح (**وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ**) في طلب القوم .

● فأنت ترى أن الله تعالى قد أخبر عن هؤلاء المجاهدين المخلصين أنهم قد صحبهم في عودتهم أمور أربعة : أولها : النعمة العظيمة ، وثانيها : الفضل الجزيل ، وثالثها : السلامة من السوء ، ورابعها : اتباع رضوان الله ، وهذا كله قد منحه الله لهم جزاء إخلاصهم وثباتهم على الحق الذي آمنوا به (**وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**) أي : صاحب الفضل العظيم .

وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ** ﴾ .

(**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ**) الذي له الحياة الكاملة المطلقة (**الَّذِي لا يَمُوت**) أبداً ، فحياته سبحانه وتعالى لم يلحقها عدم ولا يلحقها زوال ، فلا ينبغي أن يُعتمد على مخلوق ضعيف يموت .

قال ابن كثير : أي: في أمورك كلها كُن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً ، الذي هو (الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم ربّ كل شيء ومليكه، اجعله ذُخْرك وملجأك، وهو الذي يُتَوكل عليه ويفزع إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك، كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) .

وَقالَ تَعَالَى ﴿ **وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ .

(**وَعَلَى اللهِ**) وحده لا على غيره (**فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون**) أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم ، فلا خاب من توكل عليه ، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل.

وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله ، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله .

وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله** ﴾ .

(**فَإِذَا عَزَمْتَ**) على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه ، إن كان يحتاج إلى استشارة (**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**) أي : اعتمد على حول الله وقوته ، متبرئاً من حولك وقوتك (**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**) عليه ، اللاجئين إليه ، وفي هذا فضل عظيم للمتوكلين .

وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ : أي كافِيهِ .

(**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**) أي : ومن يعتمد على الله ويفوض جميع أموره إلى الله مع تمام الثقة بالله في جلب النفع ودفع الضر مع فعل الأسباب (**فَهُوَ حَسْبُهُ**) أي : فهو كافيه كل ما أهمه في أمر دينه ودنياه ، قال تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) .

وَقالَ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ .

(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**) الكُمّل ، لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان ، بين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة ، بين العلم والعمل، بين أداء حقوق الله وحقوق عباده (**الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**) أي : خافت ورهبت، فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم ، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته أن يحجز صاحبه عن الذنوب (**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً**) ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم ، لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه ، أو يتذكرون ما كانوا نسوه ، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقاً إلى كرامة ربهم ، أو وجلاً من العقوبات ، وازدجاراً عن المعاصي ، وكل هذا مما يزداد به الإيمان (**وَعَلَى رَبِّهِمْ**) وحده (**يَتَوَكَّلُون**) أي : يعتمدون في قلوبهم على ربهم في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية ، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك. (تفسير السعدي)

قال ابن كثير : وهذه صفة المؤمن حق المؤمن، الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره. كقوله تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وكقوله تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) .

ولهذا قال سفيان الثوري: سمعت السدي يقول في قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) قال: هو الرجل يريد أن يظلم –أو قال : يهم بمعصية–فيقال له: اتق الله فَيجل قلبه.

٧٤–وأما الأحاديث : فالأول : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ ، والنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ ، والنبيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فقيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَومُهُ ، ولكنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ ، فَنَظَرتُ فَإِذا سَوادٌ عَظِيمٌ ، فقيلَ لي : انْظُرْ إِلَى الأفُقِ الآخَرِ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظيمٌ ، فقيلَ لِي : هذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ ألفاً يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ)) ، ثُمَّ نَهَضَ فَدخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولئكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمْ الَّذينَ صَحِبوا رسولَ الله ﷺ ، وَقالَ بعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيئاً – وذَكَرُوا أشيَاءَ – فَخَرجَ عَلَيْهِمْ رسولُ الله ﷺ ، فَقَالَ : ((مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ ؟)) فَأَخْبَرُوهُ فقالَ : ((هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ ، وَلا يَسْتَرقُونَ ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ ؛ وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون)) فقامَ عُكَّاشَةُ ابنُ محصنٍ ، فَقَالَ : ادْعُ الله أنْ يَجْعَلني مِنْهُمْ ، فَقَالَ : ((أنْتَ مِنْهُمْ)) ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ : ((سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

((**الرُّهَيْطُ**)) بضم الراء تصغير رهط : وهم دون عشرة أنفس ، وَ((**الأُفقُ**)) الناحية والجانب . و((**عُكَّاشَةُ**)) بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها ، والتشديد أفصح .

(**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَم**) كان هذا في ليلة الإسراء على القول الصحيح كما عند الترمذي .

(**والنبي وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ**) ، قال الشيخ ابن عثيمين : الظاهر أن الواو بمعنى أو ، أي : ومعه الرجل أو الرجلان ، لأنه لو كان معه الرجل والرجلان صار يغني أن يقول : ومعه ثلاثة .

(**لاَ يَرْقُونَ**) هذه الرواية بهذا اللفظ عند مسلم دون البخاري ، قال ابن تيمية : وهو غلط ، فإن رقياهم لغيرهم ولأنفسهم حسنة ، وكان النبي ﷺ يرقي نفسه وغيره ، ولم يكن يسترقي .

(**وَلا يَسْتَرقُونَ**) أي : لا يطلبون من أحد أن يرقيهم .

(**وَلا يَتَطَيَّرُونَ**) التطير التشاؤم ، وفي لفظ للصحيحين (ولا يكتوون) .

١– الحديث دليل على فضل التوكل على الله ، وحكمه واجب .

قال تعالى (وعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

وقال تعالى (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وقال تعالى (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) . وقال تعالى (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وقال تعالى (تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) .

وقال تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

وقال تعالى (فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) .

وقال تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) .

٢– الحديث دليل على فضل التوكل على الله وأنه سبب لدخول الجنة ، **وللتوكل فضائل :**

أولاً : أنه سبب لدخول الجنة .

قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .

وقال تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

وقال تعالى (فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

ولحديث الباب .

وللحديث الآتي (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير) .

حكى النووي في هذا الحديث : أن المراد بهؤلاء القوم هم المتوكلون .

ثانياً : أهل التوكل هم أهل محبة الله عز وجل .

قال تعالى (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين) .

ثانياً : التوكل من شيم أنبياء الله ورسله وأوليائه .

قال تعالى في نوح (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ).

وقال تعالى عن هود (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) .

ثالثاً : أهل التوكل هم أهل الإيمان .

قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

وقال تعالى (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) أي : وعلى الله وحده فليعتمد وليثق المؤمنون .

قال ابن القيم : فجعل التوكل شرطاً في الإيمان ، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه ، وكلما قوي توكل العبد كان إيمانه أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل ، وإذا كان التوكل ضعيفاً كان دليلاً على ضعف الإيمان ولا بد .

رابعاً : التوكل على الله مجلبة للرزق .

عن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) رواه الترمذي .

خامساً : المتوكلون ليس عليهم للشيطان سبيل .

قال تعالى (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

سادساً : المتوكلون الله حسبهم وكافيهم .

قال تعالى (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده ، فقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ، ولم يقل : نؤته كذا وكذا من الأجر ، كما قال في الأعمال ، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه ، وحسبه وواقيه ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجاً ، وكفاه ونصره . (بدائع الفوائد) .

سابعاً : أهل التوكل على الله هم أهل العزة والاستعلاء .

قال تعالى (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

قال في الإحياء : أي عزيز لا يذل من استجار به ، ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى زمامه وحماه ، وحكيم لا يقصر عن تدبير أمر من توكل على تدبيره .

ثامناً : لا توكل بدون إيمان .

قال تعالى (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين) .

وقال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

- الفرق بين الثقة بالله والغرور والعجز .

قال ابن القيم : والفرق بينهما : أن الواثق بالله قد فعل ما أمره الله به ، ووثق بالله في طلوع ثمرته وتنميتها وتزكيتها ، كغارس الشجر وباذر الأرض .

والمغتر العاجز : قد أفرط فيما أمر به ، وزعم أنه واثق بالله ، والثقة إنما تصح بعد بذل المجهود .

٢- من أقوال السالف :

قال شيخ الإسلام : وما رجا أحدٌ مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه ، فإنه مشرك ، قال تعالى (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) .

وقال : من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله .

وقال بعض العارفين : المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه ، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه .

وقال ابن القيم – رحمه الله –ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه ، وكان مأموراً بإزالته لأزاله .

قيل لحاتم الأصم : على ما بنيت أمرك في التوكل ؟ قال : على خصال أربعة :

علمت أن رزقي لا يأكله غيري ... فاطمأنت به نفسي .

وعلمت أن عملي لا يعمله غيري ... فأنا مشغول به .

وعلمت أن الموت يأتي بغتة ... فأنا أبادره .

وعلمت أني لا أخلو من عين الله ... فأنا مستحيٍ منه .

قال بعض العلماء لا تتكلن على غير الله فيكلك الله إلى من اتكلت عليه .

قال منصور بن عمار : قلوب المتوكلين أوعية الرضا .

وقال بعضهم : علامة التوكل انقطاع المطامع : أي في الخلق والأسباب .

وقال أخر : التوكل إسقاط رؤية الوسائط والتعلق بأعلى العلائق .

- أن من تمام التوكل الأخذ بالأسباب . (وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله) .

٣- الحديث دليل على فضل التوحيد ، لقوله (ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب .. هم الذين لا يسترقون) .

والصفات المذكورة (لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون) من تحقيق التوحيد ، فلما اتصفوا بصفات أهل تحقيق التوحيد أثابهم الله الجنة بغير حساب ولا عذاب .

(والحساب : المناقشة على الدقيق والجليل ، والعذاب : حصول الألم في الموقف) .

٤- الحديث دليل على تحريم التطير ، وقد جاءت الأدلة على تحريمه :

عن أبي هريرة ﷺ . أن الرسول ﷺ قال (لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر) متفق عليه .

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل) قالوا: وما الفأل؟ قال: (الكلمة الطيبة). متفق عليه

وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً (الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل) رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود.

والتطير هو : ما يحمل على الإقدام أو الإحجام في أمر ما .

وقيل التطير : هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم .

بمرئي : مثل لو رأى طائراً فتشاءم لكونه موحشاً .

أو مسموع : مثل لو هم بأمرٍ فسمع شخص يقول لآخر : يا خسران ، أو يا خائب ، فتشاءم .

أو معلوم : كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور .

وأصل التطير عند العرب : زجر الطير ، فإن العرب كانوا إذا أرادوا أمراً زجروا الطير ، فإن أقبلتْ أقدموا عليه ، وإذا أدبرت أحجموا عليه .

- واعلم أن التطير ينافي التوحيد من وجهين :

الوجه الأول : أن المتطير قطع توكله على الله ، واعتمد على غيره .

الوجه الثاني : أنه تعلق بأمر لا حقيقة له ، (أي : أخلد إلى سببٍ غير معتدٍ به شرعاً ولا قدراً) .

- وهو شركاً أصغر ، لأنه جعل سبباً ما ليس بسبب ، أما إذا اعتقد أن المتطيَّر به مستقلٌ بالتأثير تكون الطيرةُ شركاً أكبر .

وقول الله تعالى: (أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) .

قال ابن القيم : التطير : هو التشاؤم بمرئيٍ أو مسموع ، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر وامتنع بها عما عزم عليه فقد قرع باب الشرك ، بل ولجه ، وبرئ من التوكل على الله سبحانه ، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله ، والتطير مما يراه أو يسمعه ، وذلك قاطع على مقام (إياك نعبد وإياك نستعينٍ) وقوله تعالى (فاعبده وتوكل عليه) وقوله تعالى (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) فيصير قلبه متعلقاً بغير الله عبادة وتوكلاً ، فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله ، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة ، ويساق إليه من كل أرب ، ويقيض له الشيطان من يفسد عليه دينه ودنياه ، وكم هلك بسبب ذلك وخسر الدنيا والآخرة .

٥- الحديث دليل على فضل ترك طلب الاسترقاء من الغير لقوله (ولا يسترقون) أي : لا يطلبون من أحد ذلك ، ففيه أن ترك طلب الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

قال ابن القيم رحمه الله : وذلك لأن هؤلاء دخلوا الجنة بغير حساب لكمال توحيدهم ، ولهذا نفى عنهم الاسترقاء وهو سؤال الناس أن يرقوهم ، ولهذا قال (وعلى ربهم يتوكلون) فلكمال توكلهم على ربهم وسكونهم إليه وثقتهم به ورضاهم عنه وإنزال حوائجهم به لا يسألون الناس شيئاً ، لا رقية ولا غيرها ، ولا يحصل لهم طيرة تصدهم عما يقصدونه ؛ فإن الطيرة تنقص التوحيد وتضعفه . (زاد المعاد١/٤٧٥) .

وقال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – أي لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم لما يلي :

أولاً : لقوة اعتمادهم على الله .

ثانياً : لعزة نفوسهم عن التذلل لغير الله .

ثالثاً : ولما في ذلك من التعلق بغير الله .

٦- هل طلب الرقية يقدح في التوكل أم لا ، اختلف العلماء في ذلك على قولين :

القول الأول : أن الاسترقاء يقدح في تمام التوكل .

وهذا قول الإمام أحمد ، والخطابي ، والقاضي عياض ، والنووي ، وابن تيمية .

أ- واستدلوا بحديث الباب (ولا يسترقون ...) .

قال ابن تيمية : فهؤلاء من أمته وقد مدحهم بأنهم لا يسترقون ، والاسترقاء : أن يطلب من غيره أن يرقيه ، والرقية نوع من الدعاء .

وقال الحافظ ابن حجر : فتمسك بهذا الحديث من كره الرقى والكي من بين سائر الأدوية ، وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما .

ب–ولحديث المغيرة . قال : قال رسول الله ﷺ (من استرق فقد بريء من التوكل) رواه الترمذي .

ج– وقالوا : إن فعله ﷺ وأمره بها وإقراره لها فإنما هو لبيان الجواز .

القول الثاني : أن طلب الرقية لا يقدح في التوكل .

وإليه ذهب : الطبري ، والمازري ، وابن القيم ، وابن قتيبة ، وابن عبد البر ، والداوودي ، والقرطبي .

أ–لحديث عائشة قالت (كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نسترقي من العين) متفق عليه .

ب– ولحديثها أيضاً (أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً أو أتيَ به قال : أذهب البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً) متفق عليه .

ج–وعنها (أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ نفسه بالمعوذات وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها) متفق عليه .

د– وعنها قالت (كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل قال : باسم الله يبريك ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد ، وشر كل ذي عين) رواه مسلم .

ففي هذه الأحاديث : أنه ﷺ أذِنَ في الرقى بل أمر بها ، ومن فعله ﷺ ، حيث رقى نفسه ورقي غيره ورُقيَ من قِبل جبريل وعائشة ، مع أنه ﷺ سيد المتوكلين .

هـ–وقال ﷺ (استرقوا لها) .

وأجاب هؤلاء عن الباب (... ولا يسترقون ...) :

أولاً : ما قاله الطبري والمازري ، من أنه يحمل ما في الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية تنفع بطبعها كما كان أهل الجاهلية يعتقدون .

ثانياً : ما قاله الداوودي : أن المراد بالحديث الذين يجتنبون فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء ، وأما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء به فلا .

وهذا اختيار ابن عبد البر ، واختاره أيضاً البيهقي .

والصحيح الأول ، وأن طلب الرقية مكروه ، وهو اختيار ابن تيمية كما تقدم .

فالنبي ﷺ ثبت عنه أنه رقى نفسه وغيره ، ولم يثبت عنه أنه كان يسترقي ، وحاله ﷺ أكمل الأحوال .

والمسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلبه .

- قوله (لا يسترقون) فلو رقاه أحد من غير طلب فلا يقدح ذلك .
- وأما رواية (ولا يرقون) وهو غلط ، فإن رقياهم لغيرهم ولأنفسهم حسنة ، وكان النبي ﷺ يرقي نفسه وغيره ، ولم يكن يسترقي . [ابن تيمية] .
- قوله (... ومعهم سبعون ألفاً ....) هل العدد مقصود أم لا ؟

قيل : ليس العدد مقصوداً ، فهم أكثر من السبعين ألفاً .

بدليل ما جاء في رواية عند الإمام أحمد في مسنده (فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفاً) وحسنه ابن حجر .

وقيل : بل العدد مقصود ، إذ أن الأصل أن يُقصد لا أن يُهمل .

ويُوفّق مع الحديث الذي رواه أحمد بأن الأول قبل الاستزادة والثاني بعدها ، بدليل قوله (فاستزدت ربي فزادني) بل إن في رواية الإمام أحمد دلالة على قصد الحصر ، إذ أن أوله (فاستزدت ربي) فلو لم يكن العدد مقصوداً لما استزاد ﷺ ربه ، وهذا رجحه جمع من العلماء .

٧- فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

أما الكمية : فلأن النبي ﷺ رأى سواداً عظيماً أعظم من السواد الذي مع موسى عليه السلام .

وأما الكيفية : فلأن معهم هؤلاء الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون .

٨- عرض الأمم على النبي ﷺ لفائدتين :

الأولى : تسلية النبي ﷺ حيث رأى من الأنبياء من ليس معه إلا الرجل والرجلان .

الثانية : بيان فضيلته عليه السلام وشرفه حيث كان أكثرهم أتباعاً .

٩- قوله (ولا يكتوون) ، اختلفت الروايات في الكي :

ما ورد من فعله ﷺ :

عن جابر قال (رُميَ سعد بن معاذ في أكحله ، قال : فحسمه النبي ﷺ بيده في مشقص ثم ورمت فحسمه الثانية) رواه مسلم

(الأكحل) عرق في وسط الذراع، (فحسمه) أي : قطع الدم عنه بالكي .

ما ورد من عدم محبته له :

عن جابر . قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ (إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - أَوْ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ - خَيْرٌ فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ) متفق عليه .

ما ورد في الثناء على تركه .

في حديث الباب (... هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ...) .

وفي حديث عمران بن حصين قال (وقد كان يُسلّم عليّ حتى اكتويت فتُركت ، ثم تركت الكيّ فعاد) رواه مسلم .

ما ورد من النهي عن الكي :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال (الشِّفَاءُ فِي ثَلاَثَةٍ شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ). متفق عليه

اختلف العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث :

فقال بعض العلماء : الكي مباح ، وأما أحاديث النهي فتحمل على أفضلية ترك الكي ثقة بالله وتوكلاً عليه ويقيناً بما عنده .

وإلى هذا ذهب ابن عبد البر .

وذهب بعض العلماء إلى أن الكي جائز غير مكروه بشرطين وهما :

أ- إذا دعت الحاجة إليه ، ولا يمكن الاستغناء عنه بغيره بل تعين كونه طريقاً للعلاج .

ب-وإذا اعتقد أن الشفاء بيد الله تعالى وأن الكي مجرد سبب فقط .

فإذا استعمله مع إمكان الاستغناء عنه بغيره من الأدوية كُرِهَ .

وإلى هذا ذهب القرطبي ، والمناوي ، والشوكاني .

قال القرطبي في المفهم : وكي النبي ﷺ لأُبي وسعد دليلٌ على جواز الكي والعمل به ، إذا ظن الإنسان منفعته ، ودعت الحاجة إليه ، فيحمل نهيه ﷺ عن الكي ، على ما إذا أمكن أن يُستغنى عنه بغيره من الأدوية ، فمن فعله في محله ، وعلى شرطه ، لم يكن ذلك مكروهًا في حقه ، ولا مُنقصًا له من فضله ، ويجوز أن يكون من السَّبعين ألفًا ، الذين يدخلون الجنة بغير حساب ،

كيف لا وقد كوى النبي ﷺ سعد بن معاذ ؛ الذي اهتز له عرش الرَّحمن ، وأُبي بن كعب المخصوص بأنه أقرأ الأمَّة للقرآن ، وقد اكتوى عمران بن حصين ، فمن اعتقد : أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا من السبعين ألفًا ؛ ففساد كلامه لا يخفى . وعلى هذا البحث : فيكون قوله في السبعين ألفًا : أنهم هم الذين لا يكتوون : إنما يعني به : الذي يكتوي وهو يجد عنه غنى .

وقال المناوي : الكي لا يُترك مطلقاً ، ولا يستعمل مطلقاً ، بل عند تعينه طريقاً للشفاء ، وعدم قيام غيره مقامه ، مع مصاحبة اعتقاد أن الشفاء بإذن الله تعالى والتوكل عليه .

وقال أيضاً (نهىَ عن الكي) نهي تنزيه حيث أمكن الاستغناء عنه بغيره ، لأنه يشبه التعذيب بعذاب الله الذي نهى عنه ، ولما فيه من الألم الذي ربما زاد على ألم المرض ، أما عند تعينه طريقاً فلا يكره ، فقد كوى النبي ﷺ .

وقريب من هذا القول اختيار ابن القيم حيث قال مفصلاً :

فَقَدْ تَضَمّنَتْ أَحَادِيثُ الْكَيّ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ أَحَدُهَا : فِعْلُهُ ، وَالثّانِي : عَدَمُ مَحَبّتِهِ لَهُ ، وَالثّالِثُ : الثّنَاءُ عَلَى مَنْ تَرَكَهُ ، وَالرّابِعُ : النّهْيُ عَنْهُ ، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهَا بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى .

فَإِنّ فِعْلَهُ يَدُلّ عَلَى جِوَازِهِ ، وَعَدَمُ مَحَبّتِهِ لَهُ لَا يَدُلّ عَلَى الْمَنْعِ مِنْهُ .

وَأَمّا الثّنَاءُ عَلَى تَارِكِهِ فَيَدُلّ عَلَى أَنّ تَرْكَهُ أَوْلَى وَأَفْضَلُ .

وَأَمّا النّهْيُ عَنْهُ فَعَلَى سَبِيلِ الِاخْتِيَارِ وَالْكَرَاهَةِ أَوْ عَنْ النّوْعِ الّذِي لَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ بَلْ يُفْعَلُ خَوْفًا مِنْ حُدُوثِ الدّاءِ وَاَللّهُ أَعْلَم . (زاد المعاد) .

١٠-أن المتبعين للحق قليل .

قال تعالى (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) .

وقال تعالى (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) .

وقال تعالى (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) .

وقال تعالى (وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) .

وقال تعالى (وقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) .

وقال تعالى (وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هم) .

وقال تعالى في شأن نوح (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) .

وقال تعالى في الحديث القدسي (يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك ، قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) متفق عليه .

وقال ﷺ (إنما أنتم في الأمم كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض ، أو الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود) متفق عليه

وقال ﷺ (عرضت علي الأمم فرأيت النبي يمر ومعه الرجل ، والنبي يمر ومعه الرجلان ...) متفق عليه .

١١- استدل بالحديث من قال إن النبي ﷺ مأمور بالتبليغ ، وقد اختلف العلماء في التفريق بين النبي والرسول على أقوال :

الذي عليه جمهور العلماء أن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، أما الرسول فهو من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه .

وهذا الوجه في التفريق عليه إشكالات :

قال الشنقيطي في أضواء البيان : ما اشتهر على ألسنة أهل العلم، من أن النَّبي هو من أوحى إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النَّبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحى إليه غير صحيح، لأن قوله تعالى (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ) يدل على أن كلاً منهما مرسل ، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير . (أضواء البيان) .

ومقصود كلامه – رحمه الله – أن الإرسال للنبي والرسول يقتضي التبليغ وعدم الكتمان .

وقد استبعد الأشقر في رسالته الرسل والرسالات (ص/١٤-١٥) هذا الوجه من المغايرة من عدة وجوه :

الأول : أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في قوله (وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيّ ...)

فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ ، فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ .

الثاني : أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى ، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس ، ثم يموت هذا العلم بموته .

الثالث : قول الرسولﷺ (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ...) متفق عليه .

فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم .

وقيل : الرسول : من جاء بشريعة مستقلة، والنبي: من جاء تابعاً لشريعة من سبقه ، وهذا اختيار ابن تيمية في كتابه النبوات .

قال ابن تيمية : فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته) وقوله (من رسول ولا نبي) فذكر إرسالاً يعم النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول ، فان هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح ، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض ، وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس ـ عليهما السلام . وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً .

وقال الأشقر في رسالته الرسل والرسالات : والتعريف المختار : أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد ، والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله .

وقد ردّ شيخ الإسلام هذا القول حيث قال في النبوات : وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة ، فإن يوسف كان رسولاً ، وكان على ملة إبراهيم ، وداود وسليمان كانا رسولين ، وكانا على شريعة التوراة قال تعالى عن مؤمن آل فرعون (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً) وقال تعالى (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً . وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) .

١٢- قوله (سبقك بها عكاشة) اختلف العلماء لماذا قال الرسول ﷺ هذا الكلام لهذا الرجل ؟

قيل : أنه كان منافقاً ، وهذا فيه نظر من وجهين :

أولاً : أن الأصل في الصحابة عدم النفاق ، فلا يثبت ما يخالف ذلك إلا بنقل صحيح .

ثانياً : أنه قل أن يصدر مثل هذا السؤال إلا عن قصدٍ صحيح ، ويقين بتصديق الرسول ﷺ ، وكيف يصدر ذلك من منافق

وقيل : أنه قال ذلك سداً للباب لئلا يقوم من ليس من أهلها فيطلبها فيتسلسل الأمر ، فقال هذه الكلمة التي أصبحت مثلاً .

١٣-استعمال المعاريض ، والمراد بالمعاريض : الكلام المتضمن إطلاق لفظٍ وإرادةَ غيرِه ، وهو شبيه بالتورية عند علماء البلاغة .

٧٥-الثاني : عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً : أنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يقول : « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْك تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ أعُوذُ بعزَّتِكَ؛ لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ أنْ تُضلَّني، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لاَ تَمُوتُ، وَالجِنُّ والإنْسُ يَمُوتُونَ » مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وهذا لفظ مسلم واختصره البخاري.

(**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ**) أي : استسلمت لك .

(**وَبِكَ آمَنْتُ**) باطناً .

(**وَعَلَيْك تَوَكَّلْتُ**) لا على غيرك ، والمعنى : فوضت أموري كلها عليك .

(**وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ**) أي : رجعت بالتوبة والإنابة إليك , وأعرضت عن من سواك .

(**وَبِكَ خَاصَمْتُ**) قال ابن حجر في فتح الباري (وبك خاصمت) أي : بما أعطيتني من البرهان، وبما لقنتني من الحجة .

(**أَنْتَ الحَيُّ**) أي أنت الباقي الذي لا يموت والخلائق كلهم يموتون .

١-الحديث دليل على فضل التوكل حيث كان ﷺ يتوكل على ربه ، وقد أمر الله أنبيائه بالتوكل عليه .

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ) .

وقال تعالى (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

وقال تعالى لنبيه ﷺ (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) .

وقال تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) .

وقال تعالى (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) .

توكل الأنبياء على الله :

قال تعالى عن هود (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقال تعالى عن شعيب (.... قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) .

وقال تعالى عن يعقوب (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) .

٢-قال ابن القيم : التوكل على الله نوعان :

أحدهما : توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية ، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية .

والثاني : التوكل عليه في حصول ما يحبه هو ويرضاه من الإيمان واليقين والجهاد والدعوة اليه .

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله ، فمتى توكل عليه العبد في النوع الثاني حق توكله ، كفاه النوع الأول تمام الكفاية ، ومتى توكل عليه في النوع الأول دون الثاني كفاه أيضاً لكن لا يكون له عاقبة المتوكل عليه فيما يحبه ويرضاه .

ثم قال : فأعظم التوكل عليه التوكل في الهداية وتجريد التوحيد ومتابعة الرسول وجهاد أهل الباطل فهذا توكل الرسل وخاصة أتباعهم .

٣-من أسباب تعمق التوكل في نفوس المؤمنين معرفة أسماء الله ومعانيها .

وإليك بعض أسماء الله ومعانيها التي تعمق التوكل في نفوس المؤمنين :

أولاً : الحي .

قال تعالى (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) .

وقال رسول الله ﷺ في دعائه كما في حديث الباب (اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون) .

ومعنى الحي : الذي له صفة الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا تلحق بزوال .

ثانياً : الرزاق :

قال تعالى (وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

ومعناه : المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته .

ثالثاً : المجيب .

قال تعالى (فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ) .

قال ﷺ للصحابة لما رفعوا أصواتهم بالدعاء (إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون قريباً مجيباً يسمع دعاءكم ويستجيب).

ومعناه: هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويغيث الملهوف إذا ناداه .

رابعاً : الوكيل .

قال تعالى (خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) .

وكان النبي ﷺ يدعو من الليل (اللهم لك الحمد ، أنت رب السماوات والأرض ، لك الحمد قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ، قولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي لا إله غيرك) .

ومعناه: هو الكافي وهو الذي يستقل بالأمر الموكول إليه ، وقيل الكفيل بالرزق والقيام على الخلق بما يصلحهم .

خامساً : القابض الباسط :

قال تعالى (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

ومعناه: هو الذي يوسع الرزق ، ويقتره ، ويبسطه بجوده ورحمته ، ويقبضه بحكمته .

سادساً : الخافض الرافع :

قال تعالى (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) .

وقال رسول الله ﷺ (إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم ينقص ما في يمينه ، وعرشه على الماء ، وبيده الأخرى الفيض أو القبض ، يرفع ويخفض) .

ومعنى الخافض: هو الذي يخفض من يشاء بانتقامه ، والرافع : هو الذي يرفع من يشاء بإنعامه .

سابعاً : القيوم :

قال تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) .

قال رسول الله ﷺ في تهجده إذا قام من الليل (اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ...) .

ومعناه : القائم بنفسه فلا يحتاج إلى أحد ، القائم على غيره .

٧٦–الثالث : عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً ، قَالَ : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، قَالَهَا إِبرَاهِيمُ ﷺ حِينَ أُلقِيَ فِي النَّارِ ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْماناً وَقَالُوا : حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوَكِيلُ . رواه البخاري .

وفي رواية لَهُ عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ : كَانَ آخر قَول إِبْرَاهِيمَ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ : حَسْبِي الله ونِعْمَ الوَكِيلُ .

(**حَسْبُنَا الله**) كافينا .

١– الحديث دليل على فضل التوكل على الله ، وأن المتوكل على الله لا يمسه السوء بل يحفظه الله من الشرور ويعصمه ، ويرحمه ويدل على هذا :

قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وقال تعالى (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وقال تعالى (إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ . قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وحديث الباب : لما ألقي إبراهيم في النار قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) .

وقال رسول الله ﷺ (يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، جفت الأقلام ورفعت الصحف) .

فمن أعظم ثمرات التوكل على الله أن الله يحفظه من كل سوء .

ومن ثمرات التوكل على الله :

أن الله يحبه ، ويكفيه ، ويعينه ، ويؤيده ، وهو حسبه ووليه ورازقه .

ويدل على كل ذلك قوله تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وقال تعالى (وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) .

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وقال تعالى (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) .

وقال تعالى (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم) .

وقال تعالى (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

وقال تعالى (إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ . قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) .

وقال تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) .

٢- الحديث دليل على سنة الله في أوليائه وهي الابتلاء في الدنيا والامتحان .

قال تعالى (ألم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) .

وقال تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) .

وقال ﷺ (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الإنسان على قدر دينه ...) رواه الترمذي .

وقال ﷺ (لقد أوذيت في الله وما أوذي أحد) متفق عليه .

٣-أنه لا تمكين إلا بعد ابتلاء ومحن وشدائد ، هذا ما علمنا إياه قرآننا .

فيوسف عليه السلام بدأ التمكين له عندما كان يباع ويشترى ، وحيداً شريداً ضعيفاً (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ . وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) .

ولوط عليه السلام جاءته النجاة عندما كان قومه يتأهبون للتخلص منه بسبب طهره (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الغَابِرِينَ) .

وأصحاب موسى عليه السلام : بدأ التمكين لهم وهم في أشد حالات الاستضعاف : يُذبحُ أبناؤهم وتُسْتَحْيَا نساؤهم ، وكان فرعون في أعلى حالات الجبروت والإفساد (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ . وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) .

هكذا نتعلم من كتاب ربنا : أن أقصى نقطة استضعاف هي أول نقطة تمكين بشرط أن تكون حالة الفئة المستضعفة في أعلى نقطة إخلاص وارتباط بالله ولجوء إليه ، وبعد ذلك تظهر الأسباب التي ينبغي على الطائفة المؤمنة السعي إليها واستغلالها .

٤- تسلية للدعاة في سبيل الله فيما يصيبهم من أذى في سبيل الله .

٥- مصداق حديث الرسول ﷺ (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ...) .

٦- مصداق لحديث الرسول ﷺ (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ....) .

فائدة :

قال ابن تيمية : وما يروى أن الخليل لما ألقي في المنجنيق قال له جبريل : سل، قال (حسبي من سؤالي علمه بحالي) ليس له إسناد معروف، وهو باطل، بل الذي ثبت في الصحيح حديث ابن عباس أنه قال (حسبي الله ونعم الوكيل) قال ابن عباس: قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين (قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) .

وأما سؤال الخليل لربه عز وجل فهذا مذكور في القرآن في غير موضع، فكيف يقول: حسبي من سؤالي علمه بحالي، والله بكل شيء عليم، وقد أمر العباد بأن يعبدوه ويتوكلوا عليه ويسألوه .

وقال أيضاً : وَأَمَّا قَوْلُهُ : حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي فَكَلامٌ بَاطِلٌ خِلافَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ عَنْ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ مِنْ الأَنْبِيَاءِ مِنْ دُعَائِهِمْ لِلَّهِ وَمَسْأَلَتِهِمْ إيَّاهُ وَهُوَ خِلافُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ مِنْ سُؤَالِهِمْ لَهُ صَلاحَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كَقَوْلِهِمْ : (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ا وَدُعَاءُ اللَّهِ وَسُؤَالُهُ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ عِبَادَةٌ لِلَّهِ مَشْرُوعَة .

- وقال الألباني : وبالجملة فهذا الكلام المعزو لإبراهيم عليه السلام لا يصدر من مسلم يعرف منزلة الدعاء في الإسلام فكيف يصدر ممن سمانا المسلمين ؟

ثم وجدت الحديث قد أورده ابن عراق في "تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة"(١/٢٥٠): قال ابن تيمية موضوع .

٧٧–الرابع : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النَّبيّ ﷺ ، قَالَ : ((يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثلُ أَفْئِدَةِ الطَّيرِ)) رواه مسلم .

قيل : معناه متوكلون ، وقيل : قلوبهم رَقِيقَةٌ .

١– قوله (مِثلُ أَفْئِدَةِ الطَّيرِ) اختلف في معناها :

قيل : في رقتها ولينها ، أي : أنها لا تحتمل أشغال الدنيا فلا يسعها الشيء وضده كالدنيا والآخرة .

أو في التوكل كقلوب الطير تغدو خماصاً تروح بطاناً .

وقيل في الخوف والهيبة لله ، فإن الطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً .

قال النووي : قيل : مثلها في رقتها وضعفها ، كالحديث الآخر (أهل اليمن أرق قلوباً وأضعف أفئدة) .

وقيل : في الخوف والهيبة ، والطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً ، كما قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف في شدة خوفهم .

وقيل : المراد متوكلون .

يقول النووي معلقاً على حديث (أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً الإيمان يمان) والمعنى أنها ذات خشية واستكانة ، سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير ، سالمة من الشدة والقسوة والغلظة . (نووي مسلم) .

والشاهد من كل ذلك بيان أن هناك علاقة ، بين الرقة و الإيمان والحكمة والفقه .

٢– الحديث دليل على فضل التوكل على الله وأنها سبب لدخول الجنة كما تقدم .

قال بعض العلماء : (قلوبهم مثل أفئدة الطير) أي : هم في توكلهم على الله مثل الطير التي هي أعظم المخلوقات توكلاً على الله، تجده يخرج في الصحراء لا يدري هل يلقى حباً أو لا , فيلقى حباً ويملأ الله بطنه طعاماً بدون حيلة .

٣–الحديث دليل على فضل التوكل ورقة القلب والخوف من الله ، كقلوب الطير .

فالكبر منتف من قلوبهم .

واللين والرحمة والتواضع صفتهم .

ليس فيهم الجبروت ولا الظلم .

بل فيهم الخير والتسامح والمغفرة والعفو والصفح وحسن الظن ، وهي ذات خشية واستكانة لله عز وجل ، سريعة الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير ، سالمة من الشدة والقسوة والغلظة .

٧٨–الخامس : عن جابر ﷺ : أَنَّهُ غزَا مَعَ النبي ﷺ قِبلَ نَجْدٍ ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُول الله ﷺ قَفَلَ معَهُمْ ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ في وَادٍ كثير العِضَاه ، فَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ ، وَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ تَحتَ سَمُرَة فَعَلَّقَ بِهَا سَيفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً ، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ يَدْعونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : « إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيفِي وَأنَا نَائمٌ فَاسْتَيقَظْتُ وَهُوَ في يَدِهِ صَلتاً ، قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : الله – ثلاثاً– » وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وفي رواية قَالَ جَابرٌ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ ، فجاء رَجُلٌ مِنَ المُشْركينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرطَهُ ، فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : « لاَ » فَقَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : « الله » .

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في " صحيحه " قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : « اللهُ » . قَالَ : فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ ، فَقَالَ : « مَنْ يَمْنَعُكَ مني ؟ » . فَقَالَ : كُنْ خَيرَ آخِذٍ . فَقَالَ : « تَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله وَأَنِّي رَسُول الله ؟ » قَالَ : لاَ، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أنْ لا أُقَاتِلَكَ، وَلاَ أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ ، فَخَلَّى سَبيلَهُ، فَأَتَى أصْحَابَهُ، فَقَالَ : جئتُكُمْ مِنْ عنْد خَيْرِ النَّاسِ .

قَولُهُ : « قَفَلَ » أي رجع، وَ« الْعِضَاهُ » الشجر الَّذِي لَهُ شوك، و« السَّمُرَةُ » بفتح السين وضم الميم: الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْح، وهيَ العِظَامُ مِنْ شَجَرِ العِضَاهِ ، وَ« اخْتَرَطَ السَّيْف » أي سلّه وَهُوَ في يدهِ . « صَلْتاً » أي مسلولاً ، وَهُوَ بفتحِ الصادِ وضَمِّها .

(**بذَاتِ الرِّقَاعِ**) هِيَ غَزْوَة مَعْرُوفَة كَانَتْ سَنَة خَمْس مِنْ الْهِجْرَة بِأَرْضِ غَطَفَانَ مِنْ نَجْد ، سُمِّيَتْ ذَات الرِّقَاع لِأَنَّ أَقْدَام الْمُسْلِمِينَ نُقِّبَتْ مِنْ الْحَفَاء فَلَفُّوا عَلَيْهَا الْخِرَق، هَذَا هُوَ الصَّحِيح فِي سَبَب تَسْمِيَتهَا، وَقَدْ ثَبَتَ هَذَا فِي الصَّحِيح عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ رضي الله عنه.

وَقِيلَ : سُمِّيَتْ لِجَبَلٍ هُنَاكَ يُقَال لَهُ الرِّقَاع ، لِأَنَّ فِيهِ بَيَاضًا وَحُمْرَة وَسَوَادًا .

وَقِيلَ : سُمِّيَتْ بِشَجَرَةٍ هُنَاكَ يُقَال لَهَا ذَات الرِّقَاع .

وَقِيلَ : لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ رَقَّعُوا رَايَاتهمْ وَيَحْتَمِل أَنَّ هَذِهِ الْأُمُور كُلّهَا وُجِدَتْ مَعَهَا . (نووي) .

١– الحديث دليل على ثقة النبي ﷺ بربه وتوكله عليه ، وعصمة الله له من الناس .

قال الحافظ في الفتح : وفي قول النبي ﷺ في جوابه (الله) أي يمنعني منك إشارة إلى ذلك ، ولذلك أعادها الإعرابي فلم يزده على ذلك الجواب ، وفي ذلك غاية التهكم به وعدم المبالاة به أصلاً .

٢– الحديث دليل على فرط شجاعة النبي ﷺ ، وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه عن الجهال .

٣–جواز اتخاذ الحرس ، أما ترك النبي ﷺ فلقوة يقينه قال تعالى (والله يعصمك من الناس) .

قال ابن حجر : لكن قد قيل أن هذه القصة سبب نزول قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) وذلك فيما أخرجه ابن أبي شيبة من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كنا إذا نزلنا طلبنا للنبي ﷺ أعظم شجرة وأظلها ، فنزل تحت شجرة ، فجاء رجل فأخذ سيفه فقال : يا محمد من يمنعك مني قال : الله فأنزل الله (والله يعصمك من الناس) وهذا إسناد

حسن ، فيحتمل إن كان محفوظاً أن يقال كان مخيراً في اتخاذ الحرس فتركه مرة لقوة يقينه ، فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ترك ذلك .

٤-جواز تفرق العسكر في النزول ونومهم ، وهذا محلة إذا لم يكن هنا ما يخافون منه .

٧٩-السادس : عن عُمَر ﷺ ، قَالَ : سمعتُ رَسُول الله ﷺ ، يقول : ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً)) رواه الترمذي ، وَقالَ : ((حديث حسن)) .

معناه : تَذْهبُ أَوَّلَ النَّهَارِ خِمَاصاً : أي ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوعِ ، وَتَرجعُ آخِرَ النَّهَارِ بِطَاناً . أَي مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ .

١-الحديث دليل على أن من أعظم أسباب الرزق التوكل على الله .

ففي هذا الحديث أن صفة التوكل من أعظم ما نتعلمه من الطير ، فالطير تحقق التوكل الكامل والصادق ، فلا أسباب لها تعتمد عليها إلا السعي ، لذلك على الأمة أن تعلم أنه كلما تحققت في القلب منزلة التوكل ،كلما تحققت الكفاية من الله والنصرة لهذه الأمة ، وتأمل معي في قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

فهي معادلة كلما زاد التوكل زادت الكفاية والحماية ، وكلما قل التوكل الحقيقي قلت الكفاية ، وتخلف النصر ، ووكلنا الله إلى أنفسنا وأعدائنا .

قال رجب رحمه الله في شرح الحديث :

وهذا الحديثُ أصل في التوكُّل ، وأنَّه من أعظم الأسباب التي يُستجلب بها الرزقُ ، قال الله عز وجل (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

وحقيقة التوكّل : هو صدقُ اعتماد القلب على الله – عز وجل – في استجلاب المصالح ، ودفعِ المضارّ من أمور الدنيا والآخرة كُلِّها ، وكِلَةُ الأمور كلّها إليه ، وتحقيق الإيمان بأنه لا يُعطي ولا يمنعُ ولا يَضرُّ ولا ينفع سواه .

وقال رحمه الله في شرح قوله ﷺ (وإن الفرج مع الكرب) .

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليُسر بالعسر : أنَّ الكربَ إذا اشتدَّ وعَظُمَ وتناهى ، وحصل للعبد الإياسُ من كَشفه من جهة المخلوقين، وتعلق قلبُه بالله وحده، وهذا هو حقيقةُ التوكُّل على الله، وهو من أعظم الأسباب التي تُطلَبُ بها الحوائجُ، فإنَّ الله يكفي من توكَّل عليه ، كما قال تعالى (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

قال الفضيل : والله لو يئستَ مِنَ الخلق حتَّى لا تريد منهم شيئاً ، لأعطاك مولاك كُلَّ ما تُريد .

٢- أسباب الرزق :

أولاً : التوكل .

كما في حديث الباب .

ثانياً : الاستغفار والتوبة .

قال تعالى (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) .

وقال تعالى (ويَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ) .

قال القرطبي : في هذه الآية والتي في هود دليل على أن الاستغفار يُستنزل به الرزق والأمطار .

ثالثاً : التقوى .

قال تعالى (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ) .

وقال تعالى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).

رابعاً : التفرغ للعبادة .

عن أبي هريرة . عن النبي ﷺ قال (إن الله تعالى يقول : يا ابن آدم ! تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإن لا تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك) رواه الترمذي .

خامساً : المتابعة بين الحج والعمرة .

عن عبد الله بن مسعود . قال : قال ﷺ (تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة) رواه الترمذي .

سادساً : صلة الرحم .

عن أبي هريرة . قال : قال ﷺ (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) متفق عليه .

سابعاً : الإنفاق في سبيل الله تعالى .

قال تعالى (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

قال ابن كثير : أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل ، وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث .

وقال تعالى (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً) .

قال ابن عباس في تفسير الآية : اثنان من الله ، واثنان من الشيطان (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) يقول : لا تنفق مالك وأمسكه لك فإنك تحتاج إليه ، (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) (وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ) على هذه المعاصي (وَفَضْلاً) في الرزق .

ثامناً : المهاجرة في سبيل الله .

قال تعالى (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً) .

ففي هذه الآية وعد الله تعالى أن من هاجر في سبيله سيجد أمرين : أولهما : مراغماً كثيراً ، وثانيهما : سعة .

والمراد بالأمر الأول كما يقول الرازي : (مراغماً) ومن يهاجر في سبيل الله إلى بلد آخر يجد في أرض ذلك البلد من الخير والنعمة ما يكون سبباً لرغم أنف أعدائه الذين كانوا معه في بلدته الأصلية .

والمراد بالأمر الثاني (سعة) السعة في الرزق .

٣- الحديث دليل على أن ما من دابة إلا الله رازقها .

كما قال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) .

وقال تعالى (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وقال تعالى (وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

٤- الحديث دليل على فعل الأسباب وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله .

اعلم . هدانا الله وإياك . أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها وجرت سنته في خلقه عليها .

فإنه تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل ، فكلاهما عبادة تعبدنا سبحانه بها .

قال ابن القيم : وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب ، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها ، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد .

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) .

وقال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) .

وقال تعالى (فإذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) .

وجه الدلالة من الآيات : هو أنه سبحانه مع أمره بالتوكل في آيات كثيرة ، فهو جلت قدرته يأمر في هذه الآيات وأشباهها بأخذ الأسباب وتعاطيها ، سواء كان ذلك في تحقيق النصر على العدو ، أو كان ذلك في طلب الرزق والحصول على لقمة العيش ، أو كان ذلك في تحصيل الهداية واجتناب الغواية أو غير ذلك .

وأما بيان هذه الحقيقة من الهدي النبوي :

فحياته ﷺ وهديه كله تأكيد وتبيين لهذه الحقيقة .

- فقد كان سيد المرسلين ﷺ وهو سيد المتوكلين يطوف على القبائل ويقول (من يعصمني حتى أبلغ رسالة ربي) .
- ولما هاجر إلى المدينة استأجر دليلاً مشركاً على دين قومه ليدله على الطريق .
- وكان إذا سافر في جهادٍ أو حجٍ أو عمرةٍ حمل الزاد والمزاد .
- وظاهر ﷺ بين درعين يوم أحد ، وحفر الخندق يوم الأحزاب .
- وكان ﷺ في آخر عمره وأكمل أحواله مع ربه تعالى يدخر لعياله قوت سنة .
- وعن أنس ﷺ قال : (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أعقلها وأتوكل ؟ أو أطلقها وأتوكل ؟ فقال : اعقلها وتوكل) . رواه الترمذي

قال ابن القيم : وحقيقة التوكل : القيام بالأسباب والاعتماد بالقلب على المسبب ، والاعتقاد أنها بيده ، فإن شاء منعها اقتضاءها ، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها ، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه .

فالموحد المتوكل : لا يلتفت إلى الأسباب ، بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يرجوها، ولا يخافها، فلا يركن إليها، ولا يلتفت إليها، بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها ، بل يكون قائماً بها، ملتفتاً إليها ناظراً إلى مسببها – سبحانه – ومجريها .

وقال رحمه الله : فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله ، لا على سببٍ من الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ، فإن كانت الأسباب مقدورة له ، وهو مأمور بها : فَعَلَها ، مع التوكل على الله ، كما يؤدي الفرائض ، وكما يجاهد العدو ، ويحمل السلاح ، ويلبس جُنَّة الحرب ، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أُمر به من الجهاد ، ومَن ترك الأسباب المأمور بها : فهو عاجز ، مفرط ، مذموم . (مجموع الفتاوى) ٨ / ٥٢٨ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان أهل اليمن يحجُّون ولا يتزودون ، ويقولون : نحن المتوكلون فإذا قدموا مكة سألوا الناس ، فأنزل الله تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) . رواه البخاري.

٨٠-السابع : عن أبي عُمَارة البراءِ بن عازب رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رسولُ الله ﷺ : « يَا فُلانُ ، إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فراشِكَ ، فَقُل : اللَّهُمَّ أسْلَمتُ نَفْسي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضتُ أَمْري إِلَيْكَ ، وَأَلجأْتُ ظَهري إِلَيْكَ رَغبَةً وَرَهبَةً إِلَيْكَ ، لا مَلْجَأ وَلاَ مَنْجا مِنْكَ إلاَّ إِلَيْكَ ، آمنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أنْزَلْتَ ؛ وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ . فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيلَتِكَ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ ، وَإِنْ أصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيراً » مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وفي رواية في الصحيحين ، عن البراءِ ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُول الله ﷺ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجِعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءكَ للصَّلاةِ ، ثُمَّ اضْطَجعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيمَنِ ، وَقُلْ ... وذَكَرَ نَحْوَهُ ثُمَّ قَالَ : وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ » .

(**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ**) أي : إذا أردت أن تضطجع ، وعند أبي داود (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ وَأَنْتَ طَاهِرٌ فَتَوَسَّدْ يَمِينَكَ ..) .

(**فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ**) أشار إلى أن المراد به الوضوء الشرعي لا اللغوي .

(**ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ**) أي : الجانب الأيمن .

(**وَفَوَّضْتُ أَمْرِى إِلَيْكَ**) أي : توكلت عليك في أمري كله .

(**وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِى إِلَيْكَ**) أي : اعتمدت في أموري عليك لتعينني على ما ينفعني ، وخصه بالظهر لأن العادة جرت أن الإنسان يعتمد بظهره إلى ما يستند إليه .

(**رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ**) أي : رغبة في رفدك وثوابك ، ورهبة : أي خوفاً من غضبك ومن عقابك .

اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ) يحتمل أنه يريد به القرآن ، ويحتمل أن يريد اسم الجنس فيشمل كل كتاب أنزل .

(**فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ**) أي : على الدين القويم ملة إبراهيم .

- جاء في رواية : (قَالَ فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا بَلَغْتُ : اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، قُلْتُ وَرَسُولِكَ . قَالَ : لاَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) قال ابن بطال: وقال بعض العلماء: لم يرد النبي ﷺ برده على البراء تحرى قوله فقط وإنما أراد بذلك ما في قوله: ونبيك الذي أرسلت – من المعنى الذي ليس في قوله (ورسولك الذي أرسلت) وذلك أنه إذا قال : ورسولك الذي أرسلت ، يدخل فيه جبريل وغيره من الملائكة الذين هم رسل الله إلى أنبيائه وليسوا بأنبياء، كما قال تعالى في كتابه (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) فأراد بقوله : ونبيك الذي أرسلت تلخيص الكلام من اللبس .

وقال الشيخ ابن عثيمين : قال أهل العلم : وذلك لأن الرسول يكون من البشر ويكون من الملائكة كما قال الله عن جبريل (إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين) أما النبي فلا يكون إلا من البشر فإذا قال: ورسولك الذي أرسلت؛ فإن اللفظ صالح لأن يكون المراد به جبريل، لكن إذا قال: ونبيك الذي أرسلت اختص بمحمد ﷺ هذا من وجه؛ ومن وجه آخر: أنه إذا قال: ورسولك الذي أرسلت، فإن دلالة هذا اللفظ على النبوة من باب دلالة اللزوم، وأما إذا قال: ونبيك، فإنه يدل على النبوة دلالة مطابقة، ومعلوم أن دلالة المطابقة أقوى من دلالة اللزوم . (شرح رياض الصالحين) .

١- الحديث دليل على استحباب الوضوء لمن أراد النوم .

وقد جاء في ذلك أحاديث :

منها حديث معاذ رفعه (ما من مسلم يبيت على ذكر وطهارة فيتعار من الليل فيسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه) أخرجه أبو داود والنسائي .

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رفعه (من بات طاهراً بات في شعاره ملك، فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان) وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس نحوه بسند جيد .

قال ابن حجر : وله فوائد :

منها : أن يبيت على طهارة لئلا يبغته الموت فيكون على هيئة كاملة .

ومنها : أن يكون أصدق لرؤياه وأبعد من تلعب الشيطان به .

٢- الحديث دليل على استحباب النوم على الشق الأيمن .

قال ابن حجر : وخص الأيمن لفوائد :

منها : أنه أسرع إلى الانتباه .

ومنها : أن القلب متعلق إلى جهة اليمين فلا يثقل النوم .

ومنها : ما قال ابن الجوزي : هذه الهيئة نص الأطباء على أنها أصلح للبدن .

قال القسطلاني قوله (ثم اضطجع على شقك الأيمن) لأنه يمنع الاستغراق في النوم لقلق القلب ، فيسرع الإفاقة ليتهجد أو ليذكر الله تعالى بخلاف الاضطجاع على الشق الأيسر .

٣- الحديث دليل على استحباب قول هذا الدعاء وجعله آخر الأذكار .

قال النووي : في الحديث ثلاث سنن إحداها : الوضوء عند النوم ، وإن كان متوضئاً كفاه ، لأن المقصود النوم على طهارة ، ثانيها : النوم على اليمين ، ثالثها : الختم بذكر الله .

٤-عظمة التوحيد وأهميته .

٥- أن هناك أذكاراً تقال قبل النوم :

منها : آية الكرسي .

ومنها : (باسمك ربي وضعت جنبي , وبك أرفعه , فإن أمسكت نفسي فارحمها , وإن أرسلتها فاحفظها , بما تحفظ به عبادك الصالحين) متفق عليه .

ومنها : (اللهم إنك خلقت نفسي وأنت توفاها , لك مماتها ومحياها , إن أحييتها فاحفظها , وإن أمتها فاغفر لها . اللهم إني أسألك العافية) رواه مسلم .

ومنها : (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) (ثلاث مرات) رواه أبو داود .

ومنها : (باسمك اللهم أموت وأحيا) متفق عليه .

ومنها : (سبحان الله : ٣٣ ، والحمد لله : ٣٣ ، والله أكبر : ٣٤ ، فإن ذلك خير من خادم) متفق عليه .

٦-أن الأذكار توقيفية .

٧-تعليم النبي ﷺ لأصحابه القرآن والسنة .

٨-ينبغي للعالم أن يتعاهد أصحابه وطلابه بالتعليم والتحضيض .

٩- أهمية التوكل على الله .

١٠-فضل اليمين .

٨١–الثامِنُ : عن أبي بكرٍ الصِّديق . قَالَ (نَظَرتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ وَنَحنُ في الغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنا ، فقلتُ : يَا رسولَ الله ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيهِ لأَبْصَرَنَا . فَقَالَ : ((مَا ظَنُّكَ يَا أَبا بَكرٍ باثنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

(**باثنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا**) قال النووي معناه : ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ، والتسديد ، وهو داخل في قوله تعالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون).

١– قوله (نَظَرتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ وَنَحنُ في الغَارِ) هو غار في جبل ثور ، وذلك حين هاجر من مكة إلى المدينة .

وقد نوه الله بذلك في كتابه العزيز فقال (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) .

وقد ورد ذكر ذلك في عدة أحاديث غير هذا الحديث :

منها : حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في (باب هجرة النبي ﷺ إلى المدينة) وفيه قالت (فلحق النبي ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال) .

ومنها : حديث أبي سعيد في قصة بعث أبي بكر إلى الحج، أخرجه ابن حبان وفيه (أنت أخي وصاحبي في الغار) .

ومنها : حديث ابن عباس في قصته مع ابن الزبير أخرجه البخاري في التفسير، وفيه قول ابن عباس يعني ابن الزبير (وأما جده فصاحب الغار، يريد أبا بكر ﷺ) .

ومنها : حديث ابن عباس أيضاً أخرجه أحمد والحاكم من طريق عمرو بن ميمون عنه قال (كان المشركون يرمون عليّاً وهم يظنون أنه النبي ﷺ ، فجاء أبو بكر فقال: يا رسول الله، فقال له عليّ: إنه انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار) .

وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ (أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار) الحديث؛ ورجاله ثقات كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري. وقد ذكر جميع هذه الأحاديث فيه. وقال في ترجمته في (الإصابة) والأحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة ، ولم يشركه في هذه المنقبة غيره.

٢– الحديث دليل على قوة وثقة وتوكل النبي ﷺ بربه .

٢–أن الثقة بالله وبنصره سبب للانتصار .

٣– في الحديث منقبة عظيمة لأبي بكر الصديق ﷺ .

قال النووي: وهي من أجل مناقبه ، والفضيلة من أوجه :

منها : هذا اللفظ – يعني ما ظنك باثنين الله ثالثهما – .

ومنها : بذله نفسه ومفارقة أهله في طاعة الله تعالى ورسوله، وملازمته النبي ﷺ ومعاداة الناس فيه .

ومنها : جعله نفسه وقاية عنه، وغير ذلك .

٤–بيان مدى شدة عداوة المشركين لرسول الله ﷺ وإيذائهم له وحرصهم على قتله.

٥–الأخذ بأسباب السلامة والاحتياط في ذلك، حيث اختفى رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار.

٦–اتخاذ الرفيق في السفر واختياره من ذوي الفضل والصلاح.

٧–عناية الصاحب بصاحبه وطمأنته إياه، وإدخاله السرور عليه.

٨–تسلية المقتفين لآثار المصطفى ﷺ ، وحثهم على الصبر على ما يلاقونه في سبيل نشر الدعوة تأسياً برسول الله ﷺ .

٩-أن الداعي إلى الحق عرضة للأذى، وأن طريق الحق ليس مفروشاً بالورد، بل الأمر كما ثبت عن رسول الله ﷺ (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) .

١٠-أن العاقبة لمن اتقى الله، وأن الله ناصر من نصر دينه، وأن الله مع أوليائه بالنصر والتأييد.

١١-تحدث الإنسان عما يجري له ولأصحابه في السفر وغيره، وذلك فيما إذا لم يكن هناك ما يستدعي الكتمان.

١٢-في الحديث إثبات المعية لله تعالى.

فائدة : قال الألباني رحمه الله : واعلم أنَّهُ لا يصحُّ حديث في عنكبوت الغار والحمامتين علىٰ كثرة ما يُذكر ذٰلك في بعض الكتب والمحاضرات التي تُلقى بمناسبة هجرتِهِ ﷺ إلى المدينة، فكُن مِن ذٰلك عَلىٰ عِلم .

وقال -رحمه الله- في موضع آخر في السلسلة الضعيفة أيضًا تحت حديث (انطلق النبي ﷺ وأبو بكر إلى الغار، فدخلا فيه، فجاءت العنكبوت، فنسجت على باب الغار، وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ .

قال : ثمَّ إنَّ الآية المتقدمة (وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) فيها ما يُؤَكِّد ضعف الحديث؛ لأنَّها صريحة بأنَّ النَّصر والتأييّد إنَّما كان بجنودٍ لا تُرىٰ، والحديث يُثبت أنَّ نصره ﷺ كان بالعنكبوت، وهو مما يُرىٰ، فتأمَّل.

والأشبه بالآية أنَّ الجنود فيها إنَّما هم الملائكة، وليس العنكبوت ولا الحمامتين؛ ولذٰلك قال البغوي في "تفسيره للآية" (وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته) .

- سئل الشيخ ابن عثيمين : هل عش العنكبوت والحمامتين وارد يوم اختفى الرسول ﷺ في غار ثور؟

الجواب : لا، يذكر المؤرخون: أنَّ النبي ﷺ حين اختفىٰ في غارِ ثور عشَّشت عليه العنكبوت ووقعت الحمامة علىٰ غُصنِ شجرة؛ وهٰذا كذب لا صحة له، ولا فيه آية للرسول عليه السلام ينقل، أي إنسان تُعشِّش العنكبوت وتكون حوله حمامة إذا رآه من يراه يقول: ما في أحد؛ لكن الرسول عليه السلام أعمى الله أبصارهم عنه؛ ولهٰذا قال أبو بكر: (يا رسول الله! لو نظر أحدهم إلىٰ قدَمِهِ لأبْصَرَنا)؛ لأنَّه لا يوجد مانع، فالعنكبوت والحمامة لا صحة لذكرهما عند اختفاء النبي ﷺ في غار ثور .

ولهٰذا يحترم كثير من الناس العنكبوت، يقول: لا تقتلها؛ لأنها عششت على النبي ﷺ ، فإذا كان الوزغ يُقتل؛ لأنَّه كان ينفخ في النار على إبراهيم فهٰذه تُكرَم؛ فنقول: لا، العنكبوت تُقتَل إذا آذت مثل غيرها، وهي تؤذي بعض الأحيان تعشش على الكتب وعلى الجدار فتُقتل؛ بل في حديث لٰكنه ضعيف الأمر بقتل العنكبوت . (لقاء الباب المفتوح) .

وقال -رحمه الله- أيضًا في سلسلة لقاء الباب المفتوح : وبهٰذه المناسبة أودُّ أن أُنبِّه علىٰ أنَّه يوجد في بعض الكتب أنَّ العنكبوت ضَربت علىٰ بابِ الغار نسيجًا وعشِّ الحمامة وهٰذا لا صحة له، ليس هناك نسيج من العنكبوت وليس هناك حمامة على شجرة علىٰ باب الغار، إنما هي حماية الله ولهٰذا قال أبو بكر رضي الله عنه (لو نظر أحدهم إلىٰ قدمه لأبصرنا) لو نظر أحدهم إلىٰ قدمه لأبصر النبي ﷺ و أبا بكر؛ ولكن الله أعمى أبصارهم فلم يروا أحدًا في هٰذا الغار وانصرفوا عنه .

٨٢–التاسع : عن أم المُؤمنينَ أمِّ سَلَمَةَ وَاسمها هِنْدُ بنتُ أَبي أميةَ حذيفةَ المخزومية رضي الله عنها : أنَّ النَّبيّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ ، قَالَ : ((بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ أنْ أضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ)) حديثٌ صحيح، رواه أبو داود والترمذي وغيرهما بأسانيد صحيحةٍ . قَالَ الترمذي : ((حديث حسن صحيح)) وهذا لفظ أبي داود .

٨٣–العاشر : عن أنس ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((مَنْ قَالَ – يَعْني : إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ – : بِسمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، يُقالُ لَهُ : هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيطَانُ)) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم . وَقالَ الترمذي : ((حديث حسن)) ، زاد أبو داود : ((فيقول – يعني : الشيطان – لِشيطان آخر : كَيفَ لَكَ بِرجلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ؟)) .

(**بِسمِ اللهِ**) أي: بسم الله أخرج.

(**تَوَكَّلتُ عَلَى اللهِ**) أي: فوضت جميع أموري إليه .

(**أنْ أَضِلَّ**) أي: أن أضل في نفسي، والضلال الذي هو نقيض الهدى، وفي الأصل ضل الشيء إذا ضاع، وضل عن الطريق إذا حار.

(**أو أُضَل**) أو أن يضلني غيري.

(**أو أَزِلَّ أو أُزَل**) كلاهما من الزلة ، أي : الخطأ؛ ومعنى الأول : أن أخطئ من نفسي أو أوقع غيري به، ومعنى الثاني: أن يوقعني غيري فيه .

(**يُقالُ لَهُ**) يجوز أن يكون القائل هو الله تعالى، ويجوز أن يكون ملك من الملائكة.

(**هُدِيتَ**) أي : إلى طريق الحق والصواب، حيث وفقت على تقديم ذكر الله تعالى، ولم تزل مهدياً في جميع أفعالك، وأقوالك، وأحوالك.

(**وَكُفِيتَ**) أي: صرف عنك الشر.

(**وَوُقِيتَ**) أي: حفظت عن الأشياء الخفية عنك من الأذى والسوء.

١– في الأحاديث استحباب قول هذا الدعاء عند الخروج من المنزل .

الحكمة من هذه الاستعاذة :

قال في تحفة الأحوذي ، قال الطيبي : إن الإنسان إذا خرج من منزله لا بد أن يعاشر الناس ، ويزاول الأمر فيخاف أن يعدل عن الصراط المستقيم ، فإما أن يكون في أمر الدين فلا يخلو من أن يضل أو يضل ، وإما أن يكون في أمر الدنيا, فإما بسبب جريان المعاملة معهم بأن يظلم أو يظلم , وإما بسبب الاختلاط والمصاحبة ، فإما أن يجهل أو يجهل, فاستعيذ من هذه الأحوال كلها بلفظ سلس موجز ، وروعي المطابقة المعنوية والمشاكلة اللفظية .

٢– اختلف العلماء في الخروج من المنزل هل يقدم اليسرى أم اليمنى ؟

فقيل : يقدم اليمنى .

نظراً لعدم وجود الإهانة المقتضية اليسرى .

وقيل : يقدم اليسرى .

لفقدان التكريم المقتضي بها .

والظاهر إن الأمر في ذلك واسع .

٣- التوكل على الله في جميع الأمور ، ومن ذلك عند الخروج من المنزل .

٤- مشروعية الاستعاذة من هذه الأمور كلها المذكورة في الحديث .

٥-هل هناك دعاء يقال عند الخروج إلى المسجد ؟

جاء عند مسلم : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ (أَنَّهُ رَقَدَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَيْقَظَ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ ... فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ فَخَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا وَمِنْ أَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا. اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا) .

إلا أن هذه الرواية شاذة ، والصواب ما في الصحيحين معاً في الحديث نفسه أن النبي ﷺ دعا به في الصلاة ، واختلف أهل العلم في محل دعائه به في صلاة الليل على قولين :

أحدهما : أنه دعا به في السجود ، وهذا اختيار النسائي .

والثاني : أنه دعا به قبل السلام وهو اختيار ابن حجر في فتح الباري ، والظاهر ترجيح ما رجحه ابن حجر ، فهو من الأدعية التي تعقب التشهد ، وأما الدعاء به عند الخروج إلى المسجد فإنه لم يثبت به الحديث .

- الأحاديث الواردة فيما يدعو به الخارج إلى المسجد لا يثبت منها حديث عن النبي ﷺ .

٨٤- وعن أنس ﷺ ، قَالَ : كَانَ أَخَوانِ عَلَى عهد النَّبيّ ﷺ وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأتِي النَّبيَّ ﷺ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أخَاهُ للنبي ﷺ ، فَقَالَ : ((لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ)) . رواه الترمذي بإسناد صحيحٍ عَلَى شرطِ مسلم .

« **يحترِف** » : يكتسب ويتسبب .

(**كَانَ أَخَوانِ عَلَى عهد النَّبيّ ﷺ**) أي : في زمان حياته ﷺ .

(**وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأتِي النَّبيَّ ﷺ**) ليتلقى من معارفه ، ويأخذ من أقواله وأفعاله .

(**وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ**) يكتسب ويتسبب ، فَكَأَنَّهُمَا كَانَا يَأْكُلَانِ مَعاً .

(**فَشَكَا المُحْتَرِفُ أخَاهُ للنبي ﷺ**) أَيْ فِي عَدَمِ مُسَاعَدَةِ أَخِيهِ إِيَّاهُ فِي حِرْفَتِهِ وَفِي كَسْبٍ آخَرَ لِمَعِيشَتِهِ .

(**فَقَالَ**) ﷺ مسلياً له .

(**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِه**) أي : فلعل قيامك بأمره سبب لتيسير رزقك .

١- الحديث دليل على أن من أسباب الرزق : الإنفاق على طلبة العلم الشرعي .

وهذا باب مع كل أسف غفل عنه الكثيرون، فتراه ينفق على فقير محتاج، لكن إذا دعي لمشروع دعوي من أجل طلب علم شرعي، أو حلقات تحفيظ القرآن الذي هو أعظم العلم تراه يحجم ولا يشارك ويقول بأن سد حاجة الفقير أولى، وهذا خطأ أحياناً .

إنَّ طالب العلم إن لم يكن في كفاية في معيشته فلن يُحصِّل من العلم ما يتغيَّاه ويتوخاه ، ذلك أنَّ العلم كثير ، والعمر قصير ، وجمع المال لأجل المعيشة سيأخذ من وقت المرء وقتاً طويلاً ، وكل ذلك سيكون على حساب وقته وجهده.

يقول عبد الرحيم بن سليمان الرازي:كنا عند سفيان الثوري فكان إذا أتاه الرجل يطلب العلم سأله : هل لك وجه معيشة ؟ فإن أخبره أنه في كفاية ، أمره بطلب العلم ، وإن لم يكن في كفاية أمره بطلب المعيشة .

٢- أن من أسباب تحصيل العلم : التفرغ له ، فالعلم الشرعي لا يُدركه بحق إلا من تفرَّغ له، ولا يدركه بصدق إلاَّ من أعطاه ثمرة قلبه وانصباب فؤاده إليه، وإلاَّ فلا !

نُقِلَ عن الخضر أنَّه قال لموسى عليه السلام : يا موسى، تفرغ للعلم إن كنت تريده، فإنما العلم لمن تفرغ له .

إنَّ كلَّ من يعرف حقيقة العلم واتساعه، يشهد بأنَّ تحصيل العلم لا يُنال براحة الجسم ، فمن طلب الراحة فاتته الراحة، والنعيم لا يُدرك بالنعيم .

إنَّ التفرغ الذهني للعلم كان وراء تحصيل أبي هريرة رضي الله عنه لعلوم السنَّة النبويَّة ، حيث كان بدون مُنازع ، الصحابي الجليل الأكثر جمعاً لأحاديث رسول الله ﷺ بعد توفيق الله له ودعاء رسول الله ﷺ له، حتى حمل العلم عنه ثمان مائة رجل ما بين صاحب وتابع كما قال الإمام البخاري .

يحدِّث أبو هريرة عن نفسه فيقول : إن إخواننا من المهاجرين شغلهم الصفق في الأسواق, وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم, وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ – بشبع بطنه – و يحضر ما لا يحضرون, ويحفظ ما لا يحفظون .

وقد كان التفرغ الذهني للعلم وراء نبوغ الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه ، حيث تفرغ لدراسة اللغة العبرية (لغة يهود) فعن زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلَّم له كلمات من كتاب يهود قال : إني والله ما آمن يهود على كتاب ، قال: فما مرّ بي نصف شهر حتى تعلمته له قال : فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم .

ولقد تفرغ للعلم كليَّة جماعة من أكابر أهل العلم المبرّزين، وكان تفرغهم سبب نبوغهم وبلوغهم درجة من العلم لم يصل لها عدد من أقرانهم، ومنهم فيما يحضرني ذكره:

- الإمام البخاري لم يُحصِّل ما حباه الله به من علم، إلاَّ لتفرغه علمياً للدراسة والتحصيل حتَّى ألَّف صحيحه الذي جمع فيه الأحاديث الصحاح ، وقد أتمَّ سبعة عشر عاماً في جمع وتأليف هذا الكتاب.
- الإمام النووي مكث في وقت الطلب في دمشق أربع سنين لم ينم مضطجعاً، وكان ينام مسنداً ظهره إلى اسطوانة، ولم يكن يضطجع خلال هذه المدة اضطجاع المستريح في نومته .
- الإمام ابن الملقن ، فلقد طلب الحديث في صغره بنفسه فأقبل عليه وعُني به حتّى تفرَّغ له.
- العلامة ابن خلدون مكث بضع سنوات في قلعة بني سلامة في المغرب العربي كتب خلالها مقدمته الشهيرة.
- الشيخ بدر الدين الدمشقي حبس نفسه في المكتبة تسع سنوات ، حتَّى حصَّل من العلم ما شاء الله أن يُحصِّل. (مقال للأخ خباب الحمد) .

٣- الحديث دليل على فضل الإنفاق على طلبة العلم (كما تقدم) وأن الله تعالى يبارك لمن كفله بزيادة في الرزق بماله .

وصلى الله على نبينا محمد

موقعي على النت

www.almotaqeen.net